# المقدمة

يفتح التاريخ صفحاته عادة للثورات والأحداث والمتغيرات والبطولات، وكثيرا ما يتوقف المؤرخون عند الشخصيات الهامة التي تترك بصماتها على حياة شعوبها وشعوب العالم الأخرى.

والتاريخ أسير من يكتبونه، فهو رغم كل شيء يظل وجهة نظر خاصة، ومن هنا نفهم كيف اختلف المؤرخون حول تاريخ الدولة العثمانية مثلا.. فوضعها بعضهم في مصاف الدول العظمى، وهبط بها بعض المؤرخين إلى حضيض الفردية والقمع والاستعباد والتسلط.

وحول تاريخ الزعيم العصامي المؤسس محمد علي؛ جعله بعض المؤرخين في مكانة رفيعة كباني مصر الحديثة، وكمحقق للوحدة العربية وقاهر الدولتين العظميين بريطانيا والإمبراطورية العثمانية وكأب وموجه ورائد لابنه إبراهيم باشا.

ومن ناحية أخرى فقد وضعه بعض المؤرخين في خانة الحاكم الاستبدادي، الذي جلب على مصر والعالم العربي الدمار والهزيمة، وكان مسئولا هو وابنه إبراهيم باشا عن فترة تاريخية سوداوية في تاريخ أمتنا العربية في مصر والشام.

والعهد الناصري الذي برز فيه نجم قائد القومية العربية جمال عبد الناصر يراه بعض المؤرخين محطما للاستعمار، ومحررا للشعوب، وبانيا للسد العالي، ومحققا للوحدة العربية، ومطلقا لدعوات التحرر وعدم الانحياز، وأعظم وأقوى وأروع من انحاز إلى الفقراء وحقق الإصلاح الزراعي وجعل مصر الستينيات منارة للثقافة والأدب والمسرح والفن، وقهر بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في العدوان الثلاثي، وكان أحد أقطاب مؤتمر باندونغ لعدم الانحياز.

ومع ذلك هناك من رأى جمال عبد الناصر من زاوية سلبية، وركز على أخطائه وخطاياه ولعل من أعظمها هزيمة حزيران عام 1967.

وإذن، فالتاريخ وجهة نظر، ومن ثم كان علينا أن نرصد الأحداث والأعلام والزعماء والقادة من نافذة الحقيقة، ومن وجهة نظر إنسانية نقدية علمية وثقافية، ولا أقول أنني فوق التاريخ وفوق المؤرخين، ولكني أقول بكل تواضع إن لي رؤيا وأنني أرصد من نافذة الحقيقة أقدار الرجال وأقيم أعمالهم، وأقرن الرؤيا بالدليل والحدث والواقعة التاريخية.

ومن هنا جاءت فكرة تقصي الحقيقة حول القادة والزعماء والأبطال، ووضع الشخصيات المتميزة التي ينبض تاريخها بالتفوق والعبقرية لعملية رصد مقرونة بالدليل والوثيقة والحقيقة المجردة.

أريد أن أقول أنني شاهدة على التاريخ ومن هنا فإنني أرصد حركة التاريخ وأتابع كل تدفقها في مسار أمتنا عبر عشرات العبقريات والرواد والزعماء ممن يستحقون أن نرصد سيرتهم، وأن نلقي أضواء على مساحات الإبداع والتفوق في حياتهم، بكل حياد وموضوعية، وفي هذه الحالة نكون قد ساعدنا في تقديم إضاءة حقيقية للتاريخ، وقدوة ومنارة للأجيال، ووسامَ استحقاق وحب لمن أعطى وبنى وضحى.

وعبر سنوات عملي الخصبة في مجال الإعلام، ومن خلال مشوار ثورتنا المارثوني، كتبت، وحاضرت، وحاورت عشرات القادة والزعماء والأبطال، والتقيت بنماذج وشخصيات هزت وجداني، وأثرت في فكري، وتركت في نفسي آثارا عميقة.

فلما أتاحت لي جريدة "القدس" الغراء أن أكون شاهدة على العصر وأن التقط أنفاسي وأقف أمام وهج هذه العبقريات، أستنطقها، وأستنبطها، وأحاورها، وأستعيد معها لحظات نبيلة من حياتها وحياة شعبنا رحبت بالفكرة، فلما اكتملت حلقات هذه الباقة وبلغت ستين شخصية وجدت في أخي وصديقي الدكتور سمير الجندي مشجعا ومؤازرا ومنصفا إذ أتاح لي نشر هذا الكتاب.

إنني في حياتي الإعلامية أدين بالشكر العميق للمقدسيين.. محمود أبو الزلف وسمير الجندي في تقديم هذا الكتاب.

وكلي أمل أن أؤكد أن مقياس العبقرية عندي ليست الفصائلية، أو الحزبية، أو السلطوية.. إن مقياس العبقرية عندي هو العطاء والعمل واللمسات الإنسانية التي يتضوع شذاها في فضاء فلسطين.. فضاء القدس ويافا وحيفا وعكا.. لمسات إنسانية وعبقريات فذة أثرت الوجدان العربي وأبرزت بقوة هوية الشعب الفلسطيني حضارة وريادة، بل عطرت بشذاها أريج الفكر والإبداع في السياسة والنضال والفن والأخلاق والقيم.

وليس هذا الكتاب دراسة أكاديمية تقليدية عن حياة ستين من الشخصيات الفلسطينية؛ وإنما هو لمحات وإضاءات لمواقف من حياة أعلام فهموا الحياة على حقيقتها وهي أن إنسانا بلا قضية يمر مر الكرام

في الحياة والتاريخ، وأن من يسعون إلى مجد الأصفر الرنان أو بريق السلطة أو شهوة الحكم لا يستحقون ولو هامشا ضئيلا في التاريخ، وان المجد والبطولة والقدوة لمن عمل وعرق وضحى وحلق في سماء التفوق والإبداع وبذل من روحه ودمه فكان جديرا بنا أن نقف أمامه إجلالا وأن نقدم له باقة ورد نرجو أن يكون شذاها خالدا في صدى الفكر والإبداع والإعلام على مر التاريخ.

وفي الواقع فان هذه النخبة الرائعة من أبناء فلسطين، قد سجلوا حقبة تاريخية من النجاح والإبداع، وكانوا شاهدا على الحلم الفلسطيني، وقد تركوا بصماتهم على هذه المرحلة وعلى هذه الحقبة المرتبطة بالوجود الفلسطيني والتاريخ الفلسطيني.

إن هذه الصفحات هي مسيرة ذاتية من الإبداع، تترجم عن رسالة هؤلاء الرواد وما قدموه للأجيال القادمة، وعلى مر التاريخ، ولا شك أن حصيلة جهدهم وعبقريتهم ونضالهم دليل أكيد على إرادة هذا الشعب، وتصميمه على إبراز الهوية الفلسطينية وتحقيقها على خارطة النضال التاريخي الإنساني.

ولا يجوز أن يمر تاريخ هؤلاء العظماء مرورا عابرا في حياة الأجيال والشباب، فمن المفيد جدا أن نجعل منهم شعلة ومنارة، بحيث تتلمذ الأجيال عليهم، وتعرف حقيقة ما قدموه لوطنهم وأمتهم بل وللحضارة الإنسانية والتاريخ الإنساني بكل صدق وشفافية.

إن هذه الصفحات تعطي دلالة وتشكل شهادة للتاريخ، وأشهد أني سمعت وقرأت وبلّغت.. اللهم فأشهد، وسيكون هذا الكتاب الأول في سلسلة كتب توثق التاريخ وتؤدي شهادة على العصر الفلسطيني والنضالي الرائع.. والله الموفق.

**ريموندا حوا طويل**

القدس - مالطا - دبي

أيلول، 2013